القوة والحياة . . .

للأستاذ محمد عاطف البرقوقي

قوة الفرد :

القوة مصدر من مصادر سعادة الإنسان ، ومظهر من مظاهر العز والحياة ، إن اكتسبها شخص زاد نشاطه ، وكثر إنتاجه ، وصارت في يده سلاحاً يشق به لنفسه سبل النجاح ، وهو سبيل وايم الحق صعبة التمهيد ، بعيدة المدى ، يحتاج تمهيدها إلى جهد شاق متواصل ، يعجز عن الاستمرار فيه الضعفاء ، ويصل إلى نهايته الأقوياء . والشخص القوي تجده عريض المنكبين ، بارز الصدر مفتول الذراعين ، يترقرق في وجهه دم الصحة والفتوة ، أقدر من غيره على تحمل المشاق ، وأقوى من سواه في التغلب على الصعاب . وقد قيل بحق « الحياة جهاد ، والبقاء فيها للأصلح »

فلا غرو إذا كانت القوة موضع التبجيل منذ أقدم العصور ، وحديثاً ينظم المباريات لنيل بطولة القوة ، فهذا بطل في رفع الأثقال ، وذاك بطل في العدو . ويكرم البطل لأنه عنوان الفخر لأمته ، ولا غرو فإن الأمة هي مجموعة أفرادها ، فإن كان أفراد الأمة أقوياء بلغت الأمة ذروة المجد والفخار .

قوة الأمة :

والقوة إن اكتسبتها أمة أصبحت مهيبة الجانب ، آمنة العواقب ، لا يقدم على الاعتداء عليها معتد ، ولا يغير عليها مغير ، وقد قيل « الحق مع القوة » وهو المبدأ الذي يتسلط على عقلية الدول في الحروب ، ويدفعها إلى الحركة والعدوان ، ويحفزها للكر والفر والطيران ، ويعتمها من الإحجام ويحرضها على الإقدام ، فتنتظم الجيوش البرية ، تقطع الفيافي والقفار ، وتتحرك الأساطيل البحرية ، تطهر البحار والأنهار ، وتطير الطائرات الجوية ، تغير على المدن والأمصار ، فتستعر الحرب ويشب ضرامها ، ويشتد القتال وتندلع النيران ويمتد لهيبها ، والغلبة عندئذ للأقوى ، والنصر في النهاية لمن فاقت قوته ، والهزيمة لمن انكسرت شوكته ، وحتى في وقت السلم تنادي بعض الدول بنزع السلاح وتطالب بالعدالة والإنسانية والمساواة ، وهي مبادىء إن عمل بها انتفت الشكايات وبطلت الحرب ، ولكنها غرائز الإنسان المبنية على الأثرة ، والمؤسسة على حب النفس ، والمطبوعة على الظلم حتى لقد قيل :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

ولذلك تلجأ بعض الدول إلى التسلح والتقوية وقت السلم ، اعتقاداً منها بأن « التسلح أفضى للحرب » وأن «القوي لا يحترم إلا القوي » فهي إن رغبت في القتال والعدوان ، فإنما تتسلح وتتقوى حتى لا يطمع فيها ظالم ، ولا تسول له نفسه الأثيمة الاعتداء عليها ، فسلامة الدول مبنية على قوتها ، سواء أكانت في وقت السلم أم في وقت الحرب .

قوة الآلات :

وطموح الإنسان لا يقف عند حد ، وقد وجد أن قوته العضلية لا تكفي للحصول على النجاح ، فلجأ إلى العلم يستنبط منه مصادر جديدة للقوة ، وها هو ذا يستعمل الروافع والبكرات منذ عهد اليونان ، ويبذل بها قوة صغيرة لتحريك أو رفع ثقل كبير ، فإنه إذا استطاع رفع أي ثقل بقوته العضلية ، فإنه يستطيع أن يرفع عشرات بل مئات بل آلافاً مثلها بالروافع والبكرات والآلات ، حتى لقد قال أرشميدس العالم الطبيعي الأغريقي مرة « أعطوني مكاناً أقف فيه وأنا أحرك الدنيا » ، وقد عرض على مليكه هيرون ملك سرقوسة أساس الفكرة وجعله يحرك سفينة محملة ثقيلة بقوة صغيرة ، فسر منه الملك وقربه إليه .

ومنذ عهد أرشميدس والمخترعات تتقدم في مختلف النواحي ، ومنها الناحية التي تزيد قوة الإنسان .

ففي البناية الحديثة تستعمل آلات لرفع الأثقال التي يعجز الإنسان عن رفعها بقوته ، وهذه الآلة يسميها الناس (الونش) ، ترفع كتلة ثقيلة جداً من الحديد وتتركها تهوي من عل إلى الأرض فتدكها دكاً ، وبتكرار هذه العملية يمكن إعداد الأساس المتين للبناء ، وتستعمل هذه الآلة أيضاً لنقل الحجارة والأتربة من مكان إلى آخر ، وفي البواخر المدة لحمل الأثقال والسيارات

تستعمل هذه الآلة لرفع السيارات الثقيلة من الأرض ، وتتحرك بها حتى تقف فى المكان المعد فى الباخرة لوضع السيارة فيه ، وعندئذ ترى السيارة تتدلى حتى تستقر فى مكانها المناسب ، وكل هذا دون جهد كبير من الإنسان .

وهناك آلات أخرى اخترعها الإنسان على أساس علمى آخر ، منها الجهاز المسمى بالمكبس المائى الذى يستعمل لكبس الأقطان ، واستخراج الزيوت من البذور ، وقد صنعت هذه الآلة بعد ما ثبتت قاعدة انتقال الضغط فى السوائل ، وذلك فى سنة ١٦٥٣ حيث استنبطها العالم والأديب والفيلسوف الفرنسى « بلزباسكال » ، واستغلها العلماء من بعده فى صنع كثير من الآلات منها المكبس المائى ، وهذا مثال من أمثلة عدة تدل على البحوث النظرية التى يمكن تطبيقها فى نواح عملية فى الحياة .

المصعد الكهربائى :

ومن الآلات أيضاً ما هو مبنى على أساس القوة الكهربية ، منها المصعد الكهربى ، فقد وجد الإنسان أن التعب يدركه عند ما يصعد فى سلم مرتفع ، إذ أنه يصعد مضاداً لقوة جاذبية الأرض ، وهى قوة يصل تأثيرها إلى القمر ، ولكنه عقل الإنسان القوى الذى يتغلب بعلمه وتفكيره على كل صعوبة تعترضه إذ لجأ فى هذه الحالة إلى عمل المصعد الكهربى ، الذى يتحرك بالقوة الكهربية التى سخرها الإنسان لمنفعته ، فصار الإنسان بفضل المصعد يصعد إلى أعلى الطبقات فى العمارات المرتفعة وناطحات السحاب الشاهقة ، كل هذا وهو جالس فى مقعده دون مشقة أو تعب ، وما عليه إلا أن يضغط على « الزر » الدال على رقم الطبقة التى يريدها ، فيتحرك المصعد ، ويقف عند تلك الطبقة ، كأن له عقلا يدرك به ، أو بصيرة نفاذة تهديه سواء السبيل ، وبحركة خفيفة أخرى يؤمر المصعد بالنزول فيطيع ، ولا يعصى أمراً مهما تكررت الأوامر والطلبات ، ولا يبدى ملالا أو كلالا ، ولو اشتغل آناء الليل وأطراف النهار ، فهو أطوع بل وأقدر من أى خادم أمين .

عصر الآلات :

وبالعلم أيضاً أصبح الإنسان يقطع أطول المسافات دون أن يلحقه تعب أو نصب ، سواء أكان هذا السفر فى الجو أم فى البحر أم فى البر ، على متون الطائرات التى تشق عنان السماء ، والبواخر التى تمخر عباب الماء ، والسيارات والقطر التى تنهب الأرض نهبا ، وبذلك سخر العقل البشرى للانسان آلات كثيرة فى مختلف النواحى والأغراض ، فهذه آلات مبنية على الروافع والبكرات وهى ما تسمى الآلات الميكانيكية ، وتلك آلات مبنية على قوة البخار ، وهى ما تسمى الآلات البخارية ، وأخرى مبنية على قوة الكهرباء ، وهى الآلات الكهربية المستعملة فى رفع الأثقال والنقل والحركة والتدفئة والإضاءة وغيرها ، وهناك آلات مبنية لا على أساس واحد بل على أساسين أو أكثر ، فمثلا قوة الريح وقوة الماء يمكن استخدامهما لتوليد الحركة أو لتوليد الكهرباء ، ففى هولندا تستعمل الطواحين الهوائية ، وفى الفيوم يستخدم سقوط الماء لتوليد الكهرباء للمدينة لشتى الأغراض ، وهكذا نجد العلم قد سخر للانسان قوى عظيمة لخدمته ، وتنوعت الآلات فى عصرنا حتى لقد بلغ بالعلم أن صنع آلات حاسبة وثانية كاتبة ، وثالثة ناطقة ، حقاً إننا نعيش فى عصر آلات .

(البقية فى العدد القادم)

محمد عاطف البرقوقى
ناظر المدرسة التوفيقية

« مطبعة الرسالة » تتقدم قريباً

الطبعة الثانية من كتاب :

فى أصـــول الأدب

بقلم الأستاذ

أحمد حسن الزيات

وقد أضيفت إليه فصول لم تنشر